كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

ISSN: ١٨١٧-٦٧٩٨ (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.com

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

In my novel "My Jewish Friend", I am a vegetarian

D. Nargis khalaf Assaad

the department of Arabic language
College of Education and Human Sciences
University of Tikrit
Tikrit, Iraq

***Keywords*:**
Harmony
Historical harmony
Absent Arab Muslim

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received ١٠ jun. ٢٠١٧
Accepted ٢٢ January ٢٠١٧
Available online ٠٥ xxx ٢٠١٧

A B S T R A C T

Literary Text The text of many resources is not derived from one source, but is derived from various cultural, literary, historical and religious resources depending on the sources of the writer's culture. Therefore, we can read more than one text within a single text. This is what we call "convergence". The reference refers to the meeting of a group of previous texts with different sources in a single text. They discussed and interacted with each other and interacted with the same writer to produce a text. And then leave the task to the reader to dig and drill in the layers of text to break up the parts that are from them, and reach the way in which the interaction and integration and fusion between the parts of the text, and access to the origins and sources that originated from them.

.© ٢٠١٨ JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/١٠,٢٥١٣٠/jtuh.٢٥,٢٠١٨,٠٥

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit

التناص في رواية (صديقتي اليهودية) لصبحي فحماوي

أ.م.د. نرجس خلف أسعد/جامعة تكريت/كلية التربية

الخلاصة

النص الأدبي نص كثير الموارد ، لا يسقى من منبع واحد ، بل يسقى من موارد ثقافية وأدبية وتاريخية ودينية متعددة تبعاً لمصادر ثقافة الأديب . لذا يمكننا أن نقرأ أكثر من نصٍ داخل النص الواحد ، وهذا ما اصطلح على تسميته بـ (التناص) ، والتناص يشير إلى اجتماع مجموعة من النصوص السابقة ذات المنابع المختلفة في نص واحد ، تحاورت وتجادلت و تداخلت مع بعضها البعض ، وتفاعلت في نفس الأديب لتخرج نصاً متوافقاً متجانسَ الأجزاء ، ليترك بعد ذلك المهمة للقارئ ليحفر وينقب في طبقات النص ليفكك الأجزاء التي تكون منها ، ويتوصل إلى الطريقة التي تم بها التفاعل والاندماج والانصهار بين أجزاء النص ، والوصول إلى أصوله ومنابعه التي نشأ منها .

نظراً لما يحمله مصطلح التناص من ثراء أدبي وثقافي يصل بدارسه إلى الاطلاع على كثير من الثقافات والاتجاهات المعرفية فقد وقع اختياري عليه ، للولوج إلى عالم صبحي فحماوي الروائي من خلال روايته (**صديقتي اليهودية**)(١) ، من اجل الوقوف على مدى انفتاح المتن الروائي عند صبحي فحماوي في هذه الرواية بالذات ، ومدى افادته من النصوص

* *Corresponding author: E-mail* : adxxxx@tu.edu.iq

السابقة أو المعاصرة لها ، وكيفية محاورته واستحضاره لتلك النصوص ، والكشف عن الابعاد والدلالات التي اشار إليها من خلال تلك النصوص الغائبة .

التناص

عرف النقد الأدبي المعاصر مصطلح التناص من خلال جوليا كريستيفا التي تربط بينه وبين النص ، فالنص عندها " جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة ، بالربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه . فالنص إذن إنتاجية . "(٢) . فالنص لديها لا يمكن أن ينشأ منفرداً ومجرداً من أي علاقات تربطه بنصوص أخرى ، أو من غير علاقة مصاهرة أو مزاوجة بينه وبين تلك النصوص ، التي قد تكون مقاربة له في الأصول ، أو بعيدة عنه في أصولها ومنشئِها ، فالتناص لدى كرستيفيا " ترحال للنصوص وتداخل نصي "(٣) . وفي ذات المعنى يرى د. محمد مفتاح أن التناص " هو تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة "(٤) ، فالنص لا يمكن أن ينشأ من العدم فلا بد له من مرجعيات ومؤثرات تشكل مخزوناً ثقافياً عند المؤلف ليشكل نصاً متمازجاً ومتعالقاً مع غيره من النصوص ، فالتناص " هو التقاطع داخل نص لتعبير (لقول) مأخوذ من نصوص أخرى ، أو هو النقل لتعبيرات سابقة أو متزامنة "(٥) . والتناص – بحسب بارت – لا يتعلق بمنشأ النص فقط بل هو يتعلق بالقارئ أيضاً " ففي ذاكرة المؤلف – أثناء إنتاج النص – نصوص يضمنها نصه الجديد ، وفي ذاكرة القارئ – حين قراءة النص وإعادة إنتاجه – نصوص أخرى خاصة به ، ثم إن هذا القارئ ليس واحداً ، وهذا ما يفتح آفاق التأويل والتعدد والاختلاف ، وما يجعل النص نصاً مفتوحاً "(٦) ، فالتناص يمتح من مخزونين اثنين هما : المخزون الأول المؤلف الثقافي الذي يبدع النص ، والمخزون الثاني القارئ الذي قد يختلف في مخزونه عن المبدع ، فينتج النص بشكل آخر ، فيخرج بقراءات متباينة ومتعددة نتيجة اختلاف مخزون كل قارئ يتناول النص(٧) .نفهم من ذلك أن النص لا يكون أحادي النواة – إن صح التعبير – بل هو ولود " وهذا ما يجعل كل نصٍ رحماً لنصٍ آخر في عملية الإبداع ، ومن ثم يمكن النظر إلى أي نص على أنه انفتاح على جديد وامتداد لقديم في آن واحد ، وفق رؤية مبدع النص ومدى استثماره لطاقته الثقافية المخزونة التي تسهم في إغناء النص "(٨) ، وعليه فإن كل نص نستطيع أن نستخرج منه نصاً آخر سابق عليه ، أو معاصر له ، والنص السابق والمعاصر سيخلق لنا نصاً حاضراً يحمل جينات النصوص السابقة لكن بصورة جديدة غير مشوهة ، إن امتلك منشئ النص أدواته وآلياته بشكل متقن .

مصادر التناص

شكل التناص محوراً مهماً من محاور رواية (صديقتي اليهودية) لصبحي فحماوي ، حيث تنوعت مصادره بين تناص تاريخي قديم وحديث ، وديني ، وأدبي قديم وحديث ، وتراثي ، وأسطوري ، وفني .

سنبدأ مع المصدر الأكثر حضوراً وتأثيراً في الرواية ، والذي يرتبط باحداثها ارتباطاً وثيقاً منذ العتبة الأولى للرواية (عتبة العنوان) ، والمقصود به التناص التاريخي .

التناص التاريخي

يشكل التاريخ رافداً مهماً للأدباء والشعراء لأنه " أحد المكونات الرئيسة لثقافة الإنسان ، فنلاحظ أن كل إنسان يستمد من مخزونه التاريخي ما يناسب المقام الذي هو فيه "(٩)، كما أن التاريخ يحوي مادة ثرة تغري الكاتب على النهل منها لغرض إعادة صياغتها وتوظيف أحداثها بما يتوائم وأحداث النص الأدبي الذي ينشئه الأديب .هذه الإفادة من التاريخ من قبل الأديب هو ما يعرف بالتناص التاريخي ، الذي يعني " تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاة مع النص الأصلي "(١٠) . وهذا ما نجده في رواية (صديقتي اليهودية) ، إذ يوظف الروائي أحداثاً ووقائع وشخصياتٍ تاريخية قديمة وحديثة على حد سواء ، وبما يتوائم وأحداث الرواية .

من خلال الوقوف عند مجموعة من المفاتيح القرائية نستطيع توقع الأحداث التي يقوم عليها التناص التاريخي في الرواية ، ونقصد بهذه المفاتيح (العتبات النصية) التي تقوم عليها الرواية لغرض الربط بينها وبين المتن الروائي وصولاً إلى استقراء التناص التاريخي في الرواية . وعليه فسنتوقف عند العتبات النصية لبيان العلاقة التي تربط بينها وبين التناص

التاريخي .

وقفة مع عتبات الرواية

تعد العتبات اللقاء الأول للقارئ مع النص ، فمن خلالها يستطيع الولوج إلى النص الأدبي ، فالعتبات هي " أول لقاء مادي ومحسوس بين الكتاب والقارئ الذي تراهن إستراتيجية الكتابة على حسه وحدسه الإبداعيين ، اللذين يشفان عن أفعال قرائية تتعامل إيجابياً مع هذه العتبات ، وذلك من خلال ما تقترحه تلك القراءات من اجتهادات وتأويلات وتنظيرات ، تزيد من غنى تلك العتبات ، وتفتح آفاقاً متعددة للحوار النقدي " (١١) . وأولى العتبات التي يلتقي بها القارئ مع النص (عتبة العنوان) التي تمثل المفتاح الأول للنص ، وعامل الجذب الأول للإقبال عليه ، وإلا فسيكون العنوان عامل نفور وإدبار من النص ، فالعنوان " يعد أخطر البؤر النصية التي تحيط بالنص ، إذ يمثل – في الحقيقة – العتبة التي تشهد عادة مفاوضات القبول والرفض بين القارئ والنص ، فإما عشق ينبجس – وتقع لذة القراءة – وإما نكوص ، ليتسيد الجفاء مشهدية العلاقة ، فالعنوان هو الذي يتيح (أولاً) الولوج إلى عالم النص والتموقع في ردهاته ودهاليزه ، لاستكناه أسرار العملية الإبداعية وألغازها "(١٢) .

في الرواية أول ما يطالعنا العنوان الرئيس (**صديقتي اليهودية**) ، إذ يشكل هذا العنوان المفتاح الأول الذي من خلاله نبدأ بالكشف عن خبايا النص ، إذ يشي لنا العنوان من خلال الاسم المعرف بـ (**ال**) (**اليهودية**) بصفة الصديقة أو انتمائها الديني ، مما يجعل القارئ يتوقع الاتجاه الذي ستكون عليه الأحداث ، رابطاً بين الحاضر (**الصديقة اليهودية**) وبين الآخر غير المصرح به والمشار إليه بـــ ياء المتكلم (**صديقتي**) (**الغائب العربي المسلم**)، فما دام هناك يهود فلا بد من وجود الضد الآخر (العرب / المسلمون) .

ما زال الضدان التقيا (**اليهود والعرب المسلمون**) فلا بد أن يكون لفلسطين والفلسطينيون وقضيتهم حضوراً بارزاً في الرواية . والذي يؤكد هذا التوقع ما نجده في العتبة الثانية للرواية (**عتبة التصدير**) ، هذه العتبة التي تمثل حلقة الوصل بين العنوان والمتن النصي ، إذ تسهم في الكشف عن بعض حجب النص ، كما وتسهم في " فتح ثغرات تنطوي – إذا ما قرئت جيداً – على أهمية بالغة في فك شيفرات كثيرة في المتن النصي . لما لها من مساس جوهري بالمنطقة الحرة الواعية من مساحة إبداع النص ، وفي توسطها المفصلي الحيوي المؤثر بين عتبة العنوان والمتن النصي"(١٣) . يوظف الكاتب مجموعة من المقولات لشخصيات فكرية وثورية شهيرة على مستوى العالم أجمع .المقولة الأولى (**لألبرت آينشتاين**)* " من أشد لحظات حياتي حزناً ، أن أرى الفلسطينيين يتعرضون للإبادة الجماعية " (١٤) . إن هذه المقولة تكشف لنا عن مضمون المتن الروائي ، إذ يستشهد الكاتب بمقولة آينشتاين التي يُظهر فيها تعاطفه الشديد مع الفلسطينيين ، وأسفه لما يتعرضون له من عمليات قتل ، وترويع ، وإبادة جماعية من قبل الجماعات الإرهابية اليهودية الصهيونية .

توظيف الكاتب لمقولة آينشتاين تحديداً ليس اعتباطياً لما عرف عنه – أي آينشتاين – من مواقف رافضة لفكرة إقامة الدولة اليهودية الصهيونية ، خاصة في السنوات الأخيرة من حياته ، على الرغم من أنه كان من المؤيدين لفكرة الدولة اليهودية سابقاً ، كما أنه رفض قبول منصب رئيس الدولة في إسرائيل عندما عرض عليه في العام (١٩٥٢ م) ، كما وقدم عرضاً من عدة نقاط للتعايش بين العرب واليهود في فلسطين (١٥) . تلك المقولة تؤكد توقعنا حول ما سيحتويه النص من توظيف لقضية العرب المسلمين واليهود في فلسطين . لتأتي المقولة الثانية (**لمالكوم إكس**)* التي يرفض فيها فكرة قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين واحتلاله لها ، تلك الفكرة التي لا تملك أي مسوغات قانونية على مدار التاريخ " الجدل الصهيوني الذي تبرر به اسرائيل احتلالها لفلسطين العربية لا يمتلك أي ذرة من الذكاء الفكري ، أو أي أسس أو مقومات قانونية في التاريخ "(١٦) .

أما المقولة الثالثة فهي للثوري الأشهر في القرن العشرين (**نيلسون مانديلا**)* الذي عرف بمناهضته لنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا " إن حريتنا في جنوب أفريقيا لن تكتمل بدون حصول الفلسطينيين على حريتهم "(١٧) هذه المقولة تؤكد أيضاً على أحقية الفلسطينيين في الحصول على حريتهم وتحررهم من الاحتلال الصهيوني .

المقولة الرابعة والأخيرة فهي لـ (**المهاتما غاندي**)* " إن فلسطين عربية ، بنفس المنطق القائل أن إنجلترا إنجليزية

..... إنه خطأ كبير وغير إنساني اتخاذ قرار ؛ بفرض اليهود على الأمة العربية "(١٨) . هذه المقولة تصب في ذات النهر الذي صبت فيه المقولات الثلاث السابقة التي أكدت جميعها على عروبة فلسطين ، وأحقية الفلسطينيين بأراضيها ، وزيف وبطلان إدعاءات اليهود الصهاينة بأحقيتهم بأرض فلسطين ، وإقامة دولة إسرائيل على أراضيها ، فهذه الادعاءات جميعها لا تملك مسوغات قانونية أو تاريخية تثبت أحقيتهم بأرض فلسطين .

إن توظيف الكاتب لتلك المقولات ساعد بشكل أو بآخر في فتح بعض مغاليق النص ، حيث اعطت تلك المقولات للقارئ فكرة عن ما قد تحتويه الرواية من قضايا . فتوظيفه لمقولات تخص فلسطين وقضيتها جعل القارئ متيقن من أن الكاتب سيوظف هذه القضية ضمن الرواية وهذا ما سنبينه في دراستنا هذه ...

العتبة الأخيرة التي تفتح لنا آفاقاً جديدة في النص كونها تمثل الاتصال الحقيقي للقارئ بالنص هي عتبة الاستهلال ، التي تعمل على تحريك فضول القارئ ودفعه نحو الكشف عن ما تتضمنه طبقات النص وما تخفيه من أسرار على القارئ ، وقد تكون عتبة الاستهلال المفتاح الأهم الذي يفتح للقارئ جوهر القضية التي تدور حولها أحداث الرواية .

في رواية (**صديقتي اليهودية**) يستهل الكاتب روايته بحادثة بسيطة تقع لـ (**جمال قاسم**) المسافر العربي الوحيد ضمن رحلة سياحية على متن حافلة سياحية تقصد سبع دول في شمال أوربا " ..... **بمكبر الصوت تُعَرِّف السياحَ عليّ ، بأن أسمي جمال قاسم .. تبتسم وهي تقول : " إنه العربي الوحيد في المجموعة . " صدام حسين ! صدام حسين ! هكذا صهلت امرأة غربية بيضاء ، جالسة في وسط الحافلة على مقعد الممر وهي ترفع وجهها باتجاهي ، وذلك بعد سماعها اسمي ، ومشاهدتها وجهي العربي . توترت الحافلة بركابها الذين شنفوا آذانهم ، وجحظت أعينهم لمشاهدة هذا الإرهابي العربي ، (.....) إذ لم يكن متوقعاً أن يكون بينهم سائح ، في هذا العصر الذي وسموه " ظلماً " بـــ " الإرهاب العربي الإسلامي " وألبسونا إياه زوراً وبهتاناً ، بهدف شيطنتنا ، بعد احتلال كامل تراب فلسطين ، ودفع تحالف أكثر من ثلاثين دولة غربية لتحطيم عَراقة العِراق، ومن ثم سائر البلاد العربية . وذلك على مبدأ ؛ " رمتني بدائها وانسلت** " "(١٩) . من خلال هذا الحدث الذي استهل به أحداث الرواية ، تتكشف لنا حجب النص بشكل أكثر وضوحاً وجلاءً للقارئ فتهمة الإرهاب التي وسموا العربَ بها ، جاءت بعد انكسار العرب بعد احتلال فلسطين ، وتحالف ثلاثين دولة ضد العراق ، في محاولة منهم لطمس الهوية العربية الإسلامية . فهذا العداء المستشري ضد العرب ليس من قبل اليهود فقط بل من قبل الغرب أيضاً . الاستهلال فتح لنا مغاليق النص بشكل أكبر بعد أن ساهمت عتبات العنوان والتصدير بكشف أجزاء من أسرار المتن النصي ، وتوقع أهم الأحداث التي ستدور حولها الرواية ، وهذا ما سنكتشفه بشكل مفصل عند قراءتنا للتناص التاريخي والذي سينقسم إلى : –

أ– التناص مع الأحداث التاريخية .

ب– التناص مع الشخصيات التاريخية .

أ– التناص مع الأحداث التاريخية .

١– التناص مع الأحداث التاريخية القديمة

كل حدث يحدث في ساحة التاريخ لابد من أن يكون له جذورٌ تاريخية يستند عليها ، تنمو وتتطور حتى تصل إلى ما نراه نحن في عصرنا الحاضر . واحتلال فلسطين له جذور موغلة في القدم ، والحديث عن التاريخ القديم كان فاتحة الحوار والتعارف بين (جمال قاسم / العربي المسلم) و (يائيل آدم / الصديقة اليهودية) عندما عرفت أن من يجاورها في الحافلة هو عربي .... " **حقيقي ! أنت عربي ؟ يا إلهي ! حدثني إذن عن البابليين وعن الآشوريين ، عن إيوان كسرى ، وعن نبوخذ نصر ، وعن الجنائن المعلقة ! " لا أملك الكثير من التفاصيل عن الأشوريين ، والبابليين ، ولا عن نبوخذ نصّر . فقط أعرف أن بابل هي باب(ال) وأن (ال) هو إله الكنعانيين . أي أن بابل عند البابليين هي بوابة الكنعانيين . وهي باب الله** " (٢٠). هذا السؤال هو الخطوة الأولى للوصول إلى ما يعرف بـــ (السبي الكبير لليهود) على يد نبوخذ نصر ... " **احك لي كيف تم (السبي الكبير) ليهود فلسطين بيد نبوخذ نصر ؟** " هذا الحدث الذي يهولهُ اليهود ويعطوه أبعاداً أكبر من أبعاده الحقيقية في محاولة منهم لاستمالة الآخر واستعطافه ، وفي الوقت ذاته لتبرير احتلالهم لفلسطين في

العصر الحديث . لكن يأتي رد (**جمال قاسم**) مؤيداً بدليلين لكاتبين مختلفين بالأصل والديانة والثقافة والتوجه ، أحدهما : نعوم تشومسكي الفيلسوف اليهودي الأمريكي الذي يقول : " **إن نبوخذ نصر لم يسبِ يهوداً ، وإذا كان فعلها ، فقد يكون سبى قادة فلسطينيين كنعانيين معارضين لانضمام بلاد الشام إلى مملكته** ."(٢١) والثاني : للمؤرخ العراقي فاضل الربيعي الذي يدلو بدلوه فـي قضية (السبي الكبير لليهود) قائـلاً : " **إن نبوخذ نصر سبى شيوخ اليهود وقادتهم المعارضين له في بلاد اليمن وليس غيرها ...وهذا يدل على أن السبي كان لليهود العرب اليمنيين ، الذين كانوا يعيشون في جنة عدن**.."(٢٢) . لينفي قضية (السبي الكبير لليهود) من قبل نبوخذ نصر ، القضية التي اتخذها اليهود وسيلة لكسب استعطاف وشفقة وتأييد شعوب العالم أجمع على أنهم شعب مضطهد منذ عهد البابليين وصولاً إلى اضطهاد هتلر لليهود أبان الحرب العالمية الثانية . ليأتي (**جمال قاسم**) الشخصية الرئيسة في الرواية ، ليدحض هذه الحجة مؤيداً كلامه بدليلين ، أولهما لــ (نعوم تشومسكي) الفيلسوف والناقد اليهودي الأمريكي ، وكأنه يقول لها هذا كلام يهودي مثلكم ، والثاني لــ (فاضل الربيعي) المؤرخ العراقي المسلم ، وكأن لسان حاله يقول : إن اليهود والمسلمين متفقون على زيف إدعاءات ساستكم ومؤرخيكم .

يتساءل (**جمال قاسم**) عن سبب هجرة اليهود ثماني هجرات تاريخية " **يبدو أن فيكم جينات الهجرة يا يائيل ! ألا تلاحظين معي أن مواصفات شخصيتكم غير هادئة ، وأن خارطة خلاياكم الوراثية فيها جينات محفزة للتنقل ، ولا تعرف القعود ، ولا تستطيع الاستقرار حيث تنشده ؟ أنتم شخصية قلقة ، دائمة الهجرة . ترى لماذا هاجرتم ثماني هجرات تاريخية ، بينما بقيت شعوب اليونان والرومان والعرب والألمان ، والصينيين واليابانيين والهنود ، قابعة في أراضيها ، ولم يهاجروا منها ، منذ ذلك الحين** . " (٢٣)، إذ يعزو (**جمال قاسم**) سبب الهجرات – ساخراً – إلى كون اليهود شخصيات قلقة لا تعرف الاستقرار والسكون .

لحظات السفر والرحيل تثير في النفس أحزاناً وشجوناً ، ومع صعود (**جمال قاسم**) و (**يائيل**) على متن الباخرة وابتعادها عن ميناء دوفر الإنكليزي ، تشعر (**يائيل**) بحزن عميق تستذكر خلاله هجرة اليهود من مكان لآخر عبر التاريخ " **من بلاد الأشوريين ، هاجر إبراهيم إلى جنة عدن ، فأبعدته سارة إلى مكة ، حيث وضع أهله في أرض غير ذي زرع ، ومن هناك واجهنا الاندثار ، تحت أقدام خيول السبي الكبير بالأشوريين ، ومن بلاد الخزر هاجرنا إلى الأندلس ، وعملنا سكرتاريا للعرب هناك ، حتى دالت دولتهم** "(٢٤) . كلام (**يائيل**) عن هجرة اليهود ووصولهم إلى الأندلس حتى سقوط دولة الأندلس حرك في نفس (**جمال قاسم**) تساؤلاً فيما إذا كان يهود الخزر سبب انهيار الأندلس ، وذلك لأن وزراء ومستشاري ملوك الطوائف العرب كانوا من يهود الخزر " **هل سبب انهيار الأندلس ، منارة الحضارة الأوربية في القرون الوسطى ، هو كون وزراء ملوك الطوائف ومستشاريهم من يهود الخزر ، الذين عملوا على افسادهم ، وذلك بتزيين الدكتاتورية والمجون في عيونهم ، وذلك ما دمر بنيتهم الإستراتيجية** ؟ "(٢٥) ، إن سؤال (**جمال قاسم**) سؤال تقريري يكاد أن يجزم فيه أن ما حصل لملوك الطوائف ، إنما هو بسبب وجود يهود الخزر كمستشارين ووزراء لهم .

تعاود (**يائيل**) حديثها عن هجرة اليهود رابطة بين تلك الهجرات وآلامها ، وبين البواخر والسفن اللاتي كانت تتم بها الهجرات ومغادرة اليهود من البلاد التي يقطنون بها إلى أنحاء العالم كافة " **تتابع يائيل حديثها قائلة : ومن الأندلس تاه اليهود للمرة الخامسة ، وتناثروا في بلاد أوربا، ومن هناك تم تهجيرهم بعد الحربين العالميتين ؛ الأولى والثانية ، إلى فلسطين وأمريكا ... كل تلك الهجرات كانت تتم بالسفن** .. "(٢٦) .

لا يتوقف الكاتب عند تاريخ فلسطين وهجرات اليهود المتكررة في تناصـه مـع الأحداث التاريخية ، بل يتطرق لتاريخ الأندلس عند حديثــه لــ (**يائيل**) عن زيارتـه للأندلس ، ومشاهدتــه معالمها وآثارها ، تحديداً مسجد قرطبـة الشهير ، الذي يعرف الآن بـــ (كاتدرائية قرطبة) ، كما أن جميع معالم المسجد باتت تعزى للفن المعماري الإسباني وليس للفن المعماري العربي الإسلامي ! ، كما ويحكي لـ (**يائيل**) عن تاريخ بناء المسجد وما حل فيه وباقي المساجد في الأندلس بعد سقوط دولة الخلافة الإسلامية " **تصوري أن هذا الجامع قد استمر بناؤه قرنين ونصف قرنٍ تقريباً ، وذلك منذ أن فتح الأمويون الأندلس سنة ٧١١م ، وقاموا ببناء هذا المسجد المسمى بـــ " جامع الحضرة " أي حضرة الخليفة، وذلك قريباً من (**

كنيسة قرطبة). (.....) المصيبة أنه في عام ١٢٣٦ م . اجتاح القساوسة مدينة قرطبة ، بما فيها من مساجد وقصور ، فنهبوها ، ودمروا معالمها الفنية . ثم حولوا مساجدها إلى كنائس . "(٢٧) . الحديث عن تاريخ الأندلس وتوظيفه في الرواية لا يأتي اعتباطياً ، ولا يأتي لغرض الحديث عن الأندلس بشكل خاص ، بقدر ما يكون وسيلة للوصول إلى قضية اليهود وإقامتهم في الأندلس ، ثم هجرتهم منها إلى بلاد أوربا وأمريكا ثم فلسطين ؛ إذ تسأل (**يائيل**) (**جمال قاسم**) عن مصير اليهود في الأندلس ... " **وماذا عن اليهود في الأندلس ؟** " .. " **لقد عاش اليهود أزهى عصورهم في كنف العرب والمسلمين ، وذلك إبان ثمانية قرون قضوها في الأندلس من دون تمييز عرقي أو عنصري ، أو ديني ...**" . (٢٨)

إن الحديث الذي دار بين (**يائيل**) **و** (**جمال قاسم**) حول هجرات اليهود المتكررة من بلد لآخر ، وعلى مدى ثلاثة آلاف عام مضت ، منذ العهد البابلي وإلى العصر الحديث كان يدور حول فكرتين أساسيتين : الأولى : فكرة (**يائيل**) اليهودية ، التي تقول باضطهاد اليهود وأحقيتهم ببناء وطن لهم ، ليعوضوا ظلم واضطهاد ثلاثة آلاف عام مضت . والثانية فكرة **(جمال قاسم)** الفاضحة لأكاذيب اليهود القائلة باضطهادهم ، من خلال سرده لمجموعة من الحقائق التاريخية التي تؤكد تمتع اليهود بكافة حقوقهم المدنية والدينية في ظل الحكم العربي الإسلامي ، وكذلك زمن حكم البابليين في عصر ما قبل الميلاد .

٢- التناص مع الأحداث التاريخية الحديثة

يحمل التاريخ الكثير من الأحداث والصراعات التي تنشأ في بقاع الأرض كافة ، وهذه الأحداث تشكل رافداً مهماً للأديب ، إذ تقبع في الذاكرة ، فتزدحم في مخيلته حتى " تنشأ في نفسه طاقة مكبوتة يسعى إلى تفريغها ، فتمر أثناء ذلك في مخيلته صور مختلفة ، لتلتقي كل صورة بمثيلتها ، وتتداخل تلك الصور وتنصهر لتتشكل من جديد في قالبها اللغوي محملة بأبعاد واقعية ونفسية وخيالية ، فيتحد الماضي بالحاضر ، والقريب بالبعيد ، والواقعي بالمتخيل ، فيهيمن التاريخ على بعض تلك الصور ، ومن هنا ينشأ التناص التاريخي بمختلف تفاصيله "(٢٩) .

التناص التاريخي في رواية (**صديقتي اليهودية**) لم يقتصر على الأحداث التاريخية القديمة فقط ، بل نجده يستلهم ويوظف الأحداث التاريخية الحديثة من خلال استحضار واستلهام معطيات التاريخ ودلالاته في النص ، بالشكل الذي يخلق توافقاً وتزاوجاً بين الماضي بكل ما يحمله من دلالات وإشارات وأحداث ، والحاضر بكل ما يعتريه من أحداث وصراعات جديدة تمتد بجذورها إلى الماضي ، فيسير الماضي و الحاضر جنباً إلى جنب كأن لا انفصام بينهما . فالكاتب عند استحضاره الأحداث التاريخية القديمة يخلق حلقة وصل مع الأحداث التاريخية الحديثة ، وكأن الماضي يفسر الحاضر ، فما حصل مع (**جمال قاسم**) – الشخصية الرئيسة في الرواية – مع صديقه محمود في مطار هيثرو في لندن ، حيث اعترضهما رجال أمن المطار ، وقاموا بتفتيشهما ، وتفتيش أوراقهما الرسمية والشخصية معاً ، وتفتيش أغراضهما ليس لشيء سوى أنهما سلما على بعضهما وتعانقا في المطار ، حيث رصدتهم كاميرات المراقبة المنتشرة في المطار ، ومما زاد الطين بلة أنهما عربيان !! . وبعد تأكد رجال أمن المطار من سلامة موقف المسافرين من أي شيء يثير الشك والريبة انسحبا بلطف ، فتعلق (**يائيل**) باقتضاب (موقف مؤسف) ، ليربط بين هذه المقولة ، ومقولة الأمم المتحدة بعد كل اعتداء إسرائيلي على الأراضي الفلسطينية (لا بد من ضبط النفس) " **موقف مؤسف** " **قالت يائيل .(.....) وكأنها تقول لنفسها : " لا بد من ضبط النفس " هكذا تقول لنا " الأمم المتحدة ضدنا " بعد كل احتلال أرض في فلسطين ، لزراعة مستوطنة جديدة : " لا بد من ضبط النفس** ". (٣٠) . تنتهي تلك الحادثة بفراق ووداع (جمال ومحمود) ، فيستذكر في هذا الموقف اتفاقية سايكس بيكو ، ويضع اللوم على عاتق تلك المعاهدة المشئومة التي كانت سبباً في تشظي ليس فقط الأوطان ، بل وفراق كل زميلين ، وكأن اتفاقية التجزئة قد طالت كل شيء حتى الأصدقاء !! "...**وأننا استغربنا مدى تشظي مخطط سايكس بيكو ، الذي مزق الوطن العربي ، فوصل حالنا بعد تمزيق الممزق في حرب الخليج ، إلى حد تمزيق كل رفيقين !** "(٣١)

يحاول الكاتب وبذكاء أن يقتنص المواقف البسيطة ليصل إلى مبتغاه ، ويتحدث عن الفكرة الأساس (احتلال فلسطين) ، وكيفية تعامل الإنكليز معها من مماطلة وتسويف والتفاف حولها ، من خلال سرده لحادثة الإفطار البسيطة في منزل السيدة الإنكليزية التي اجر غرفة عندها للمبيت بدل المبيت في فنادق باهظة الثمن ، إذ تغضب السيدة الإنكليزية لمجيئه قبل وقت الإفطار بثلاث دقائق فقط معلقاً : " **مسألة الدقائق الثلاث هذه ، التي تحتاج إلى مجلس أمن ، يكون قاضيه إنجليزي ، ليقول لك : الانسحاب من أراض تحتلها إسرائيل عام ١٩٦٧ ، بدل قوله : الانسحاب من الأراضي التي تحتلها إسرائيل** ". **وبين مفهوميّ (أراضٍ ، والأراضي) فرق كبير.. قلت لنفسي : " إن الفرق بين (أراضٍ ، والأراضي) خلق مفهوماً غير مفهوم ، جعلنا نتفاوض عليه مع إسرائيل من يومها ، وحتى يوم الدين**"(٣٢) . فهذه المماطلات والحيل كان لها دور في ضياع المزيد من الأراضي الفلسطينية ، وضاعت معها حقوق الشعب الفلسطيني .

يوظف الكاتب أحداثاً كثيرة ترتبط بعضها بأحداث فلسطين ، والبعض الآخر لا يرتبط بها بتاتاً كحادثة غرق سفينة (تايتنك) التي استذكرها عند وصوله لميناء (بورتسموث) ، الميناء الذي أبحرت منه تايتنك (٣٣) . أما الأحداث التي تتعلق بفلسطين واحتلالها فيستذكرها مــع السيدة (روز) صاحبة المنزل الذي استأجر فيه غرفة للمبيت فيها ، ليعود إلى بداية أحداث احتلال فلسطين.." **وخلال جلسة تعارف قصيرة فـي غرفـة الجلوس ، ذكرت لي أن " زوجها الأول " كان جندياً في الجيش الإنكليزي فـي فلسطين ، وأن مركزه كان فــي ميناء (بورت) حيفا – كان أبي المعتقل هناك فــي معسكرات الإنجليز بالأشغال الشاقـة ، يسميه : (بور حيفا) . ومما قالته روز : " كان من نتائج الحرب العالمية أن بريطانيا أهدت فلسطين إلى يهود أوربا ، ليقيموا فيها دولة ، يسمونها دولة إسرائيل** .." (٣٤) . يستأنف (**جمال قاسم**) في جدله مع (**يائيل**) حول قيام ما يسمى بــ (دولة إسرائيل) في فلسطين موظفاً نصاً مقتبساً من وعد بلفور المشئوم .." **نريد أن تكون لبني إسرائيل دولة نسميها دولة إسرائيل . " لا تقولي إسرائيل ... قولي فلسطين ". " لا تقل فلسطين .. قل إسرائيل ." إذا كان نص وعد بلفور الذي أسس إسرائيل بقوة الحرب العالمية ، يقول (وطناً قومياً لليهود (في فلسطين) فكيف تقولي لي (في إسرائيل ؟) ."**(٣٥) .

يستغل الكاتب أي فرصة تحيله على حادثة أو واقعة تاريخية ليربط بينها وبين ما يجري في فلسطين ، وكأن الرواية رواية تاريخية بامتياز ، إنها رواية تاريخ ، وهذه الرواية تتخذ من التاريخ عنواناً لها ، ففصول الرواية ، لا تحمل أي تسمية – عنونة – بالمعنى المتعارف عليه ، يستمدها الكاتب من أحداث روايته أو شخصياتها عنواناً فرعياً لفصول الرواية ، بل نجده يتخذ من تواريخ معينة عناويناً لفصول الرواية يبتدئها صباح كل يوم من الرحلة ، التي بدأت في (١٢ – ٦– ١٩٩٣) وانتهت في (٢٩ – ٦– ١٩٩٣) ، أي استغرقت ثمانية عشر يوماً ، كان أهم تلك التواريخ ، تاريخ (٢٥ – ٦ –١٩٩٣) ، في هذا التاريخ يشاهد (**جمال قاسم**) مجموعة من الرجال الفلسطينيين في الفندق الذي بات فيه – في مدينة أوسلو– وهم يرتدون البدلات وربطات العنق ، وهم يتضاحكون ، يتعرف عليهم (**جمال قاسم**) ، إنهم يظهرون فــي الصور الإعلامية ...!!! . لكن ما الذي يفعله هؤلاء في أوسلو ؟ لم تذكر وسائل الإعلام أي شيء عن هذه الزيارة ، ولا عن أسبابها ، أو جدول أعمالها ؟ الجواب يأتي على لسان (**جمال قاسم**) ... " **لم أكن أعرف وأنا أنام في أوسلو ، أنه يجري التحضير لاتفاق مسمم يتم طبخه في الفندق الذي ننزل فيه ، اسمه " اتفاق أوسلو " ، سيتم اعتراف الفلسطينيين بدولة إسرائيل ، من دون اعتراف ما تسمى إسرائيل بدولة فلسطين** ... "(٣٦) . كان يجري التحضير بشكل سري لما عرف فيما بعد بمعاهدة أوسلو ، التي تم توقيعها في واشنطن ، إلا أن تسميتها جاءت نسبة لمدينة أوسلو التي تمت فيها اللقاءات السرية بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة ما يعرف بالكيان الصهيوني . تلك المعاهدة التي ضيعت حقوق الفلسطينيين أصحاب الأرض ، وأعطت للمحتل الصفة القانونية ليعيث فساداً في أرض فلسطين من دون أن يعترف لأصحاب الأرض بأي حق !!! .

إن أحداث الرواية التي تنقل فيها الكاتب من التاريخ القديم إلى الحديث وبالعكس ، كانت تمثل تمهيداً للقارئ حتى يصل به إلى هذه الحادثة ، التي تمثل – بحسب ما أرى – بيت القصيد للكاتب ، إذ تدور أحداث الرواية ضمن فترة زمنيــة محددة تمتد من (١٢ –٦–١٩٩٣) ولغاية (٢٩ –٦– ١٩٩٣) ، يستعرض خلالها الكاتب أحداثاً ووقائع تاريخية

يدور جلها في فلك الصراع الدائر بين أحقية الفلسطينيين للعيش على أرضهم بسلام ، ومطامع اليهود للاستيلاء على الأرض من دون أدنى حق ، وكأن الكاتب بإشارته إلى تاريخ (٢٥ – ٦ – ١٩٩٣) يقول : أن هذا اليوم هو القشة التي قصمت ظهر البعير، هذه الاتفاقية هي التي اضاعت نضال شعب لاسترداد الأرض وسلمت الوطن للمحتل على طبق من ذهب .

ب- التناص مع الشخصيات التاريخية

يستعين الأديب بالتاريخ ليستلهم منه صوراً تثري التجربة الإبداعية ، ذلك أن التاريخ غني بأحداثه ووقائعه وشخصياته وهو على الرغم من اختلاف الأزمنة والأمكنة إلا أنه يظل متصلاً ببعضه كأنه حلقات سلسلة متصلة بعضها ببعض ، متفاعلة فيما بينها . فالحاضر يستند للماضي ، والماضي يفسر الحاضر ، ليأتي دور الأديب الذي يتعامل مع هذه الواقع التاريخي " وفقاً لمنظور خاص ، يتكون نتيجة لعملية معقدة من التفاعلات والعلاقات المتشابكة بينه وبين ذلك الواقع ، بين وعيه وبيئته وشخصيته ، وبين ما يعتمل في الواقع ومدى تطور الظروف التاريخية "(٣٧) . والكاتب وظف الكثير من الشخصيات التاريخية في روايته ، القديمة منها والحديثة على حد سواء ، ذلك أن " الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة ، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي ، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية ، والقابلة للتجدد – على امتداد التاريخ – في صيغ وأشكال أخرى "(٣٨) إذ تأتي تلك الشخصيات متوافقة مع الحدث الذي يدور داخل الرواية ، وأحياناً تكون هذه الشخصية أو تلك المحرك الأساس للحدث ، أو المفتاح الرئيس الذي يفتتح به حدثاً جديداً في الرواية ، إذ " أن التاريخ ليس وصفاً لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها ، إنه إدراك إنسان معاصر أو حديث له ، فليس هناك إذن صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضي "(٣٩) .

والأديب المعاصر لم يتوقف عند الأحداث التاريخية فقط بل استعان بالشخصيات التاريخية ليعبر من خلالها عن فكرة معينة ، أو يستذكر معها أحداثاً مرتبطة بها ، أو ليعكس صورة معينة يريد التعبير عنها ، والشخصيات التاريخية التي وظفها الكاتب صبحي فحماوي في روايته انقسمت إلى نوعين أساسيين هما :

الشخصيات التاريخية القديمة و الشخصيات التاريخية الحديثة

١- الشخصيات التاريخية القديمة

تحضر الشخصيات التاريخية القديمة بشكل واسع في الرواية ، إذ يوظف الكاتب الأمكنة والحوادث ليربط بينها وبين إحدى الشخصيات التاريخية ، حيث ذكرته مدينة (**جنوة الإيطالية**) بجبالها الشاهقة اللإرتفاع ، المكسوة بالثلوج ، برحلة القائد القرطاجني (**هاني بعل**) الذي قطع الجبال الوعرة المرتفعة ، التي تطاول السماء " **كنت استغرب كيف قطعها ذلك القائد القرطاجني العظيم ؛ هاني بعل ، هو وجيشه المدعم بفيلة غريبة عن المنطقة ..قلت ، سيسعفني الوقت للتمتع بتاريخية مدينة (كريستوفر كولمبس) العريقة** "(٤٠) . لا يكتفي الكاتب بذكر شخصية واحدة ، بل نجده يجمع بين شخصيتين مختلفتين في الحضارة (هاني بعل و كريستوفر كولمبوس)، تجمعهما مدينة جنوة الإيطالية ، " **أتخيل ذلك الكنعاني المغلوب على أمره (هاني بعل) الذي نفذ بجنوده وفيلته من ثلوج جنوة ، تلك الجبال الإلهية الملتصقة بالسماء ، فاحتل إيطاليا ، بدون روما ، وأقام فيها خمسة عشر عاماً ، بهدف انتزاع العالم – المعروف لديه يومها – بحضارة " البحيرة الكنعانية " التي تحول اسمها اليوم إلى " البحر المتوسط** "(٤١) . فمدينة (جنوة) أوحت للكاتب باستذكار أحداث تاريخية تتعلق بشخصيتين تاريخيتين مهمتين يرتبطان بهذه المدينة .

يعقد الكاتب مقارنة بين الحال التي كان عليها رجال الغاب – الفايكنغ – من تخلف ووحشية ، وعبثية في كل شيء حتى القرن الثاني عشر ، وبين حال الناس في عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ، الذي كان يتشاور مع الخليفة علي بن أبي طالب ، من أجل تطبيق القانون على الجميع وبشكلٍ متساوٍ ، وذلك في القرن السابع الميلادي " **كان عمر بن الخطاب منذ القرن السابع الميلادي يتشاور مع بوابة العلم ؛ علي بن أبي طالب ، وأصحابه الآخرين ، فيطبق القانون بحقوق متساوية للجميع ، ويدفع راتباً لكل وليد . فتسألني : " هل تقصد أنه كان يدفع لهم ضماناً اجتماعياً ؟** "(٤٢) . تستغرب (**يائيل**) من هذه المعلومات التي تسمعها للمرة الأولى عن العرب و المسلمين ، حتى أن أشهر المقولات في

التاريخ تسرق من العرب ، ولا تنسب لهم ، بل تنسب للغرب " **هناك تعتيم على تاريخنا ، بصفتنا مهزومين منذ أمد بعيد . ذلك لأن المنتصر هو الذي يكتب التاريخ ، كما يريد . المنتصر هو الذي أغفل نشر تاريخ مقولته المشهورة ؛ (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) غريب ما تقول ، فلقد سمعت ذلك الإعلان ، الذي رسّخته الأمم المتحدة عنواناً لحقوق الإنسان عام ١٩٨٢** " (٤٣) يعزي الكاتب كل ذلك التعتيم على تاريخنا العربي الإسلامي إلى قانون المنتصر ، الذي يكتب التاريخ ، وبما أننا منهزمون منذ زمن بعيد فلا يمكننا أن نكتب تاريخنا ، ولا أن نوصل تلك الحقائق عن تاريخنا إلى الآخر الذي يمتلك دفة الأمور .

٢- التناص مع الشخصيات التاريخية الحديثة

تسجل الشخصيات التاريخية الحديثة حضوراً مميزاً في مدونة صبحي فحماوي الروائيــة ، تحديداً في روايته (**صديقتي اليهودية**) ، إذ يوظف هذه الشخصيات بالشكل الذي يخدم أحداث الرواية ، فيفتتح بها حدثاً كما فعل في بداية الرواية ، حيث يستهل أحداث الرواية بحادثة بسيطة يرد فيه اسم (صدام حسين) – الرئيس العراقي السابق – بشكلٍ مفاجئ من دون سابق إنذار ، وذلك عند صعوده الحافلة التي تقلهم في رحلتهم الأوربية ، إذ تقوم قائدة الرحلة بتعريف (جمال قاسم) للسياح المرافقين له في الرحلة معلنةً أنه العربي الوحيد فـي الرحلة ، لينطلق صوت امرأة غربية تجلس في الحافلة (صدام حسين ! صدام حسين !) " **وبمكبر الصوت تعرف السياح عليّ ، بأن اسمي جمال قاسم .. تبتسم وهي تقول : إنه العربي الوحيد في المجموعة . صدام حسين ! صدام حسين !** "(٤٤) ، وكأن صدام حسين بات رمزاً لكل عربي ، والعربي المسلم هو رمزٌ للإرهاب !!كيف لا .. وهذه الصفة باتت ملاصقة للعربي المسلم في الغرب ".. **إذ لم يكن متوقعاً أن يكون بينهم سائح عربي ، في هذا العصر الذي وسموه " ظلماً " بـــ " الإرهاب العربي الإسلامي " وألبسونا إياه زوراً وبهتاناً بهدف شيطنتنا ، بعد احتلال كامل تراب فلسطين ، ودفع تحالف أكثر من ثلاثين دولة غربية لتحطيم عَراقة العِراق ، ومن ثم سائر البلاد العربية . وذلك على مبدأ " رمتني بدائها وانسلت "** (٤٥) .

يستهل الكاتب روايته – كما ذكرنا سابقاً عند الحديث عن عتبة الاستهلال – بهذه الحادثة ليمهد فكرة الرواية ، التي تدور حول محور رئيس (الاحتلال الإسرائيلي) لفلسطين ، وما يتبعه من أحداث وحروب من أجل ترسيخ الكيان الصهيوني الإسرائيلي في فلسطين ، ومحاولة تحطيم أي قوة عربية تطالب بتحرير فلسطين ، فكانت فكرة وسم العرب المسلمين بالإرهاب وسيلة لتحقيق غاياتهم الخبيثة ، فيوظف الكاتب المثل العربي الشهير " رمتني بدائها وانسلت " الذي يضرب مثلاً لمن يعير صاحبه بعيب هو فيه ، فيلقي عيبه على الناس ويتهمهم به (٤٦).

ما يزال كلام تلك المرأة الغربية التي صرخت (**صدام حسين !**) عندما علمت بوجود عربي بينهم في الرحلة ، وكأنها تقول (إنه إرهابي) ، عالقاً في ذهن (**جمال قاسم**) ، فتأتي الفرصة سانحة له ليرد الصاع صاعين لتلك الغربية ، وذلك عند عبور الحافلة جسر لندن ، الذي يعد واحداً من أصل ثلاثة وثلاثين جسراً قائمة على نهر التايمز في لندن . هذا العدد (**ثلاثة وثلاثون**) يذكر (**جمال قاسم**) وبصفته الممثل الشرعي والوحيد لصدام حسين – كما وسمته تلك الغربية – بعدد الدول الغربية التي شنت العدوان الثلاثيني على العراق (عام ١٩٩١) يلتفت إلى السيدة الغربية تلك متسائلاً ". **كانت المرأة التي وصمتني بصفتي " الممثل الشرعي والوحيد لـــ صدام حسين " تجلس خلفي ، فاستدرت نحوها وقلت لها: " هل سمعتي ما قالته المضيفة عن ثلاثة وثلاثين جسراً تقطع نهر التيمز في لندن " ؟ فقالت متفاجئة بسؤالي لها : " نعم ، سمعت ." فقلت لها : سؤالي هنا هو : هل جاءكم أي عربي ، فحطم جسراً واحداً من هذه الجسور الإنجليزية العتيدة ؟ (.....) كل ما كان عندنا في بغداد هي خمسة جسور ، لا نملك غيرها .. أتيتم بعديدكم وعتادكم ، مدججين بثلاثين دولة غربية معتدية ، فحطمتم الجسور العراقية الخمسة اليتيمة لدينا ، بدون أي مبرر ، بينما لم تخجلوا بوصم العرب بالإرهاب ... ترى من هو الإرهابي ؟ المعتدي ، أم المعتدى عليه ؟** "(٤٧) ، فهو يقول لها أنتم الإرهابيون لا نحن ، فلما توسمونا به **!!؟.**

العرب هــم المعتدى عليهم ، والغرب هــم المعتدون ، وهنا يوظف الكاتب شخصيةً غربية لعبت دوراً مهماً في التاريخ الحديث ، وظفها الكاتب لتكون رمزاً للغربي المعتدي ممثلةً بشخصية (**لورنس العرب**) " **هؤلاء الغربيون يا يائيل**

يستخدمونكم كدروع بشرية ، لتحقيق أهدافهم التوسعيــة ، مثلما استخدم لورنسُ ، العربَ بدل الإنجليز ، لمحاربة الأتراك ، فالغربيون يستخدمونكم بدلاً عنهم ، لمحاربة العرب في بلادهم ." (٤٨) يؤكد الكاتب على فكرة (البديل عن الآخر) التي يقوم بها الغربيون للتخلص من أعدائهم ، متمثلين بالعرب واليهود معاً ، فإقامة دولة لليهود في فلسطين الهدف منها التخلص من يهود أوربا وزجهم في أرض العرب ، ليبقى الصراع مستمراً بين الاثنين – العرب واليهود – فيتخلصوا بذات الوقت من العرب ، الذين يمثلون قوةً جبارة لو أعادوا أمجادهم السابقة ، كما استخدم الإنجليز العربَ سابقاً لمحاربة الأتراك ، فهم بذلك يتخلصون من كلا العدوين في آنٍ واحد .

يوظف الكاتب مقولة لأهم شخصيتين شيوعيتين في العالم (ماركس وإنجلز) ، ليرد على (**يائيل**) القائلة بأن هجرتهم إلى فلسطين هي آخر هجرة ، ولن يكون بعدها هجرة أخرى لأن إقامة دولة إسرائيل الكبرى هي آخر مراحل التاريخ .! " **لقد قال ماركس وإنجلز : (إن الشيوعية هي آخر مراحل التاريخ .) وها هي الشيوعية تنهار ، وتعود الرأسمالية من جديد ، لتكون متوحشة أشرس مما كانت عليه في السابق** .. "(٤٩) .

يستغل الكاتب بعض الأحداث التي تحصل في الروايــة ، أو الأماكن التي ترد فــي الرواية – كما ذكرنا سابقاً – ليوظف شخصيات لها أثر مميز في التاريخ ، ويقتنص من مقولاتها ما يتناسب والموقف الذي تمر فيه الشخصية الرئيسة في الرواية ، أو أحد شخوصها الآخرين ، أو من خلال الفكرة التي تدور حولها الأحداث ، فجاءت مقولة (العالم نيوتن) " **أعطوني مكاناً خارج العالم ، وأنا أحرك لكم العالم** "(٥٠) ، التي جاءت متوافقة مع المكان الذي يتواجد فيه ، مدينة أوسلو ، المدينة التي تمت فيها اللقاءات السرية لتوقيع معاهدة أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة الكيان الصهيوني . التي تم الاعتراف من خلالها بما يسمى بدولة إسرائيل من دون اعتراف إسرائيل بدولة فلسطين !!! . وكأن لأوسلو سحراً خاصاً على العالم كله ، يجعل منها مركزاً للسيطرة على الآخرين وتسيرهم كما تشاء !! " **وإلا كيف استطاعت معاهدة أوسلو أن تحرك العالم وتلوي عنق الفلسطينيين بسلام الشجعان** ."(٥١) فمقولة نيوتن وأوسلو ذات الجبال الشاهقة المتعالية على الآخرين ، يمثلان وجهان لعملة واحدة ، عملة السيطرة على الآخرين والتحكم بهم .

نستخلص مما تقدم أن المحور الأساس للرواية (قضية فلسطين) يبقى حاضراً في أغلب أحداث الرواية ، من حيث الشخصيات ومقولاتها ، أو الأماكن التي يحلون فيها أو التواريخ التي ترد في الرواية ، إذ يوظف الكاتب هذه الشخصيات والمقولات والأحداث والأماكن توظيفاً يخدم وجهة نظره من اجل إيصال فكرة الرواية للمتلقي .

ب- التناص الديني

يعد التناص الديني المنبع الأساس الذي يرفد منه الأدباء لضخ الحياة في نصوصهم الأدبية ، فالنص الديني نص حي ومتجدد في كل مرة نغرف فيها منه ، فالنصوص الدينية على اختلاف مصادرها ، إسلامية كانت أم يهودية أم نصرانية ، فانها تشكل منابع للإبداع ، وفي رواية (**صديقتي اليهودية**) ، نجد من العتبة الأولى (عتبة العنوان) ، دلالة على اتجاهين دينيين مختلفين الثاني مصرح به (اليهودية) ، فالكاتب يعلن ديانة الصديقة وهي اليهودية ، وعليه فلنا ان نعرف أن الأول لا بد أن يكون مسلماً ، وباجتماع هذين القطبين لا بد من أن نجد إشارات للمصادر الدينية الأساس ، التي تمثل هاتين الديانتين (الإسلام واليهودية) ، والمقصود بهما (القرآن الكريم) كتاب المسلمين و (التوراة) كتاب اليهود .

١- التناص القرآني

يشكل النص القرآني حضوراً أوسع من النص التوراتي وحتى الإنجيلي في هذه الرواية ، ولعل ذلك يعود إلى أن الشخصية الرئيسة في الرواية شخصية مسلمة (**جمال قاسم**) وهو الذي يستأثر بالكلام أكثر من باقي الشخصيات الموجودة في الرواية .

أثناء تجوال (**جمال قاسم**) في لندن وما يشاهده من كثرة الاختناقات في المدينة ، يطرح مجموعة من التساؤلات التي تصب جميعها في أحقية أن يعيش الإنسان على الكرة الأرضية ، التي تحمل كل معاني الجمال ، وهو يعمل ، بقصد أو من دون قصد ، على تدمير وإفساد هذه الأرض " **تتعجب كيف تم هذا التكامل الجمالي على كوكب يسمونه الكرة الأرضية . ولكن هذا الإنسان المسخ لا يستحق الحياة على وجه الأرض ، ذلك لأنه** " **يفسد فيها ويسفك الدماء ...**" **طبيعة الإنسان**

يا أخي نجسة." (٥٢) . فهو يستحضر في هذا الموقف قوله تعالى على لسان الملائكة { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (٥٣) .

يربط الكاتب بين الاستقرار والسكون في الوطن والتمتع بجماله ، وبين النص القرآني الذي يدل على السكون والاستقرار في الحياة الزوجية { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(٥٤) . مؤكداً على أهمية أن يشعر الإنسان بالاستقرار والهدوء والسكون في كل شيء ، على عكس الهجرة والتشتت ، التي يشبهها الكاتب بالتقلب على صفيحٍ ساخن . فهو هنا يشير إلى هجرات اليهود المتكررة التي لا يحصلون خلالها إلا على القلق والتشتت الدائمين(٥٥) .

يعود الكاتب مرة أخرى إلى فكرة احتلال الأرض ، وسلب حقوق أهلها ، وذلك عند حديثه عن (مسجد قرطبة) ، الذي تحول بعد سقوط الخلافة الإسلامية في الأندلس إلى كاتدرائية ، ولتأكيد حقيقة أصالة (مسجد قرطبة) ، وليس (كاتدرائية قرطبة) ، أنه ما يزال يذكر آية كتبت على جدرانه الداخلية {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٥٦) . فهنا يؤكد على إسلامية (مسجد قرطبة) ؛على الرغم من المحاولات العديدة لطمس المعالم الإسلامية في المسجد .

يوظف الكاتب قوله تعالى {..... فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }(٥٧) ، ليفند قول الفنان التشكيلي (مايكل أنجلو) ، الذي صنع تمثالاً للنبي موسى (عليه السلام) ، ثم قال له : أنطق ، وكأنه وصل إلى أعلى مراتب الخلق والإبداع ، فلم يبقَ سوى أن ينطق !!.(٥٨) .

يضمن الكاتب الكلام بعبارة مقتبسة من النص القرآني في درج الكلام ، وكأنه من صياغته هو من دون أن يضعه داخل أقواس التنصيص ، أو الأقواس المزهرة ، وذلك عند عودته من الرحلة في التلفريك إلى الحافلة التي تقلهم في رحلتهم الشمال أوربية " **يقولون إن نسبة الأوكسجين هنا منخفضة لدرجة أن الحياة الدائمة قد تكون غير ممكنة ، ولهذا فلا نطيل التنزه وإنما نعود بالقاطرة التي عليها الدور لنصل إلى حافلتنا التي تنتظرنا بسلامٍ آمنين** "(٥٩) ، فهو يتناص مع قوله تعالى: { ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِين } (٦٠) ، فالحافلة هي الملاذ الذي يشعر فيه المسافر بالأمان بعد رحلة بين أعالي الجبال ، يقضيها في التلفريك ، متنقلاً بين القمم .

ج – التناص الأدبي

يعد التناص الأدبي جزءاً رئيسياً في التشكيل السردي للأعمال الروائية ، فلا تكاد تخلو أيةَ رواية من نصوص أدبية شعريةً كانت أم نثرية ، إذ يكشف لنا التناص عن ثقافة الكاتب ، وتوجهه الفكري ، والقضية التي يريد التعبير عنها ، أو توجيه القارئ لها .فاقتباسات الكاتب وتضميناته هي " بمثابة إضاءات لجوانب من خبرات الكاتب ووجهة نظره التي يحاول عن طريقها إقناع المتلقي بها "(٦١) والكاتب في رواية (**صديقتي اليهودية**) وظف عدداً من النصوص الأدبية في روايته ، إيماناً منه بأن النص الأدبي لا يقوم بذاته ، بل يتكون من نصوص متعددة ، فالنص " ليس الا نسيجاً من إستشهادات سابقة ، وعلى اعتبار أن الكتابة تتأسس على التواصل والتسلسل ، فهو هنا امتداد لما سبقه من النصوص ، فالنص الأدبي إذن أشبه بتراكمات أو طبقات جيولوجية تكدست بعضها فوق بعض بمرور الزمن ، ليصبح النص نسيجاً متراكماً للنصوص السابقة عليه وأخرى حاضرة له " (٦٢) .

إن توظيف الكاتب للنصوص الأدبية سار باتجاهين رئيسين هما :

التناص مع الأدب العربي القديم و التناص مع الأدب العربي الحديث

١-التناص مع الأدب العربي القديم

يتفق (**جمال قاسم**) و(**يائيل**) إلى أن مشاغل الحياة وتعقيداتها تدفع بالإنسان إلى الملل والضجر ، ولهذا المعنى يوظف الكاتب نص الشاعر زهير بن أبي سلمى الشهير:

سئمت تكاليف الحياة ، ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم(٦٣)

لكنه ويائيل لم يصلا إلى هذه المرحلة من الحياة ، ويريدان أن يعيشا حياتهما قبل أن يصيبها التعب والعطب !! .

يتجول (**جمال قاسم**) في حدائق لندن ، فيلفت انتباهه مجموعة من الشباب ، الذين اتخذوا لهم مكاناً في الحديقة ليلقي كلٌ منهم خطبةً على جمهور من المتفرجين ، كلٌ بحسبِ اتجاهه ، ومعتقده ، وعرقه ، فمنهم اليهودي ، والشيوعي ، والفلسطيني ، والأوربي ، وفي ظل كل ذاك الهرج والمرج ، يوظف الكاتب بيتاً لأبي العلاء المعري ، ليسخر فيه من هؤلاء المتحدثين ، الذين تتعالى أصواتهم مثل أصوات الديكة .. " **كان شاعرنا العتيد أبو العلاء المعري يُضحكني وهو يقف بين تظلمات المتحدثين في الساحة وهم يتصايحون مثل الديكة ، من دون أن يرى شيئاً ، وهو ينشد شعره :**

" **هذا بناقوس يدق وذا بمئذنة يصيح** " "(٦٤)

يستمر (**جمال قاسم**) بالسخرية من بعض المواقف التي تصادفه أثناء رحلته في شمال أوربا ، إذ تصادفه امرأة تسأله عن كلبها الضائع (سيوز) ، فيسألها إن كان بنتاً أم ولداً ؟ ، ظناً منه أنه طفل ، ليوظف بيتاً شعرياً للشاعر (ابن الرومي) ساخراً فيه من تلك المرأة السائلة .... " **انتبهت لغلطتي (غير الحضارية) ، وفهمت أنني غبي ، وغير مثقف (كلبياً) ، فقلت لنفسي المخذولة : " هي لم تعرف أنني من جماعة الشاعر الذي أقذع غريمه شتماً بقوله** " :

وجهك يا عمرو فيه طول وفي وجوه الكلاب طول "(٦٥)

للفراق حضوره في الشعر العربي ، فيوظف الكاتب بيتي الفرزدق ليعبر من خلالهما عن مدى الحزن والألم اللذين يعتصراه عند فراقه لـ (مارغريتا) ...

نَدِمتُ نَدَامَةَ الكُسعِيّ لما غَدَت مِنّي مُطَلَّقَةً نَوَارُ

وَكَانَت جَنّتـــي ، فَخَرَجـتُ منها كـآدَمَ حينَ لـَجّ بـهِ الضِّرَارُ (٦٦)

فلحظات الفراق والوداع بين المحبين شبيهة بلحظات خروج سيدنا آدم من الجنة – كما يرى الفرزدق – فمفارقة الحبيب كمفارقة الجنة .

٢- التناص مع الأدب العربي الحديث

لا يقتصر الكاتب في تناصه على النصوص الأدبية القديمة فقط ، بل نجده يوظف نصوصاً أدبيةً حديثة لأدباء وشعراء محدثين ، تتوافق نصوصهم مع مجريات الأحداث في الرواية .

الحدث الأول الذي يوظف فيه الكاتب نصاً أدبياً حديثاً ، يأتي من خلال الحوار الذي دار بين (**جمال قاسم**) وسفير إحدى الدول الأوربية ، إذ تبجح السفير في حديثه مع (**جمال قاسم**) ، وتطاول على شخص النبي محمد (**صلى الله عليه وسلم**) حيث قال : " **لماذا وجّه نبيُّكم محمد فتوحاته باتجاه خضرة بلاد الشمال ، وجعل القدس قبلة للمسلمين ؟ أليست عقدته من حياة الصحاري العربية هي الحافز** ؟ "(٦٧). فكانت الدهشة والمفاجأة هي السائدة على جمال قاسم ، ليرد عليه دون سابق تحضيرٍ لإجابةٍ لهذا التساؤل!!! ليجد نفسه يرد عليه بكل اندهاش قائلاً : " **هذا يعني أن الإسكندر المقدوني ، والقياصرة الرومان ، وهولاكو ، ونابليون ، والصليبيين ، والاستعمار الغربي ، والصهاينة ، كلهم كانت عندهم عقدة كراهية الخضرة ، فراحوا يبحثون عن التصحر ، وهم يتوغلون في غزواتهم لبلاد العرب** ... "(٦٨) . هذه الإجابة فاجأت السفير الأوربي حتى تساءل (**جمال قاسم**) إن كان قد تجاوز حدوده بهذا الكلام " **هل يجوز مثل هذا الكلام وسعادة الرجل وبهاء زوجته ضيفان في منزلك ؟ هل تجاوزت حدودك في هذا الرد ؟ ولكن أليس هو الذي تجاوز قدره بذلك السؤال ..**

" **أبا الزهراء قد جاوزت قدري بمدحك بيد أن لي انتسابا** "

فكيف إذا كان ما حصل من طرف سعادته هو قدح ، وليس مدح ؟ "(٦٩)

فيأتي توظيف بيت الشاعر أحد شوقي متوافقاً مع الحدث التي ذكره الكاتب ، فكيف لشخص مثله أن يتجاوز على شخص النبي محمد (**صلى الله عليه وسلم**) ، فإذا كان الشاعر المادح يعتذر لأنه تجاوز قدره بمدحه النبي محمد (**صلى الله عليه وسلم**) فكيف بمن يقدح ويتجاوز على شخصه الكريم ؟!!!.

الرحلة التي انضم إليها (جمال قاسم) تجوب دول شمال أوربا ، حيث الطبيعة الخلابة ، من أشجار وارفة وسحب وغيوم ماطرة ، يقتنصها جمال من نافذة الحافلة ليستذكر معها قول الشاعر إيليا أبو ماضي :

السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين ،

والشمس تبدو خلفها صفراء عاقدة الجبين .... (٧٠)

على شواطئ أوستند يعقد (جمال قاسم) مقارنة بين الحال التي يعيش فيها سكان أوستند وسياحها ، من سهر ولهو وعبث في مخيماتهم التي وضعوها على شواطئ أوستند ، وبين مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، من خلال اقتباس نص لغسان كنفاني من روايته (أم سعد) ، أم سعد السيدة الفلسطينية اللاجئة " **أقول لنفسي محزوناً وأنا أشاهد هذه السعادات المتناثرة هنا وهناك : " كما أن لهم مخيماتهم ، نحن أيضاً لنا مخيماتنا ." وكما قالت أم سعد الفلسطينية على ذمة غسان كنفاني : " ولكن خيمة عن خيمة تفرق ""**(٧١). فخيم اللاهين في أوستند يسودها الفرح ، والمرح ، والضحك ، واللهو .... ، على عكس خيم اللاجئين الفلسطينيين ، التي يسودها الحزن ، والفقر ، و الجوع ، والضياع ، والمرض .... .

لم يعد الإنسان المؤثر الوحيد في تكوين شخصية الأفراد ، بل أن للتغيرات التي تطرأ على المجتمعات أثر كبير في تكوين وتربية الأفراد ، وفي هذا يوظف الكاتب مقولة لجبران خليل جبران : " **أولادكم ليسوا لكم ... أولادكم أولاد الحياة** "(٧٢) ، فلم يعد الآباء هم المؤثرون الوحيدون ، بل أن لشبكات التواصل العولمية تأثير في تكوين الأفراد .

د – التناص التراثي

الأديب يبحث دائماً عن مصادر تثري عمله الأدبي ، فنجده يغترف من كل مصدر غرفة صغيرة ، تسهم في إغناء عمله ، وبث روح جديدة فيه . ويعد التراث من أهم المصادر التي اغنت الأدباء والشعراء على حد سواء ، فالتراث بانواعه المختلفة من حكايات شعبية وأمثال وأساطير شكل رافداً مهماً من روافد الأدب ، ولعل من أسباب تعلق الأدباء بالتراث ، رغبتهم بالعودة إلى تراثهم وتاريخهم واستلهام العبر والحكم من أحداثه وشخصياته ، كما يعد محاولة منهم لاستعادة أمجادهم الضائعة . فالتراث الشعبي بالنسبة لأي أمة يعد " الخيار الوحيد لتعبر عن تلقائيتها المطلقة بكل حرية وتجرد ، فالأدب والتراث الشعبي هو التعبير الفطري الصادق لأحلام الأمة وآمالها وشقائها "(٧٣) والتراث يشمل الحكم والامثال والحكايات الشعبية .

من أهم الحكايات التي لاقت اهتماماً وتوظيفاً وجذباً للأدباء في الأعمال الأدبية أكثر من غيرها (حكايات ألف ليلة وليلة) ، حيث يجدون في حكاياتها وشخصياتها المنهل الذي لا ينضب ، فيوظفون بعضاً من شخصياتها ، أو أسماء حكاياتها الشهيرة كشهريار وشهرزاد ، و السندباد البحري ، وعلي بابا ... لتكون جزءاً فاعلاً في أعمالهم الأدبية .

كان لقصة علي بابا ومغارته الشهيرة حضوراً في رواية (**صديقتي اليهودية**) ، ولذات الفكرة (المغارة) التي تفتح وتغلق بعبارة بسيطة (افتح يا سمسم ، واغلق يا سمسم) " **شاهدت معرض (تشيلسي) للزهور ومستلزمات الحدائق . كانت المعروضات جميلة ومتنوعة .. واعجبني فيه بيت زجاجي للحدائق ، على شكل نصف كرة ، تفتح شبابيكه للتهوية وتغلق بالدفع التلقائي ، بواسطة تمدد الحرارة وتقلصها .. فكرته مضحكة ، مثل مفتاح باب مغارة علي بابا ، إذ تقول له السخونة : افتح يا سمسم ، فيفتح سمسم .. وتقول له البرودة : أغلق يا سمسم، فيغلق سمسم .**"(٧٤)

تنفتح أبواب مغارة علي بابا هذه المرة في هولندا ، حيث مركز (إلياهو سابير) الذي يضم قاعة ينزل فيها الزوار بسلالم ليشاهدوا أنواع المجوهرات والحلي ، وبعد الدخول يغلق الباب باحكام لا يمكن لأي شخص بالخروج إلا بأمر يصدر لحارس البوابة " **عندما صعدنا خارجين من طابق التسوية ، كان رجل الأمن واقفاً بملابسه الشرطية ، فلما أعطي له**

الأمر ، قال للبوابة كما كان يقول علي بابا: " افتح يا سمسم ." ففتح سمسم باب المغارة .. وفعلاً كانت المغارة كما قرأناها في ألف ليلة وليلة ، محشوة بالجواهر والذهب والألماس . "(٧٥) .

من باب الاعتزاز بالتراث ، يدافع (**جمال قاسم**) عن حكايات ألف ليلة وليلة ، إذ يرد على سؤال (**يائيل**) له بأنه تعلم المغامرة والتحدي من أفلام جيمس بوند ؟ " "**مدهش مدهش أنت يا جمال ! هل تعلمت هذا التحدي من أفلام جيمس بوند ؟** " " **بل قولي إن جيمس بوند هو الذي تعلم التحدي من أهوال رواية ألف ليلة وليلة العربية!** ""(٧٦) ، فجمال قاسم يؤكد على تأثر الغرب بحكايات ألف ليلة وليلة العربية .

ارتبط اسم السندباد بالرحلة والسفر والتنقل من مكان لآخر ، فهو مغامر جواب لا يعرف السكون والاستقرار طويلاً ، وبهذه الصفات يلتقي بطل الرواية (**جمال قاسم**) مع السندباد ، إذ يلتقي بـــ(مارغريتا) – الفتاة الإيطالية – في القطار الذاهب إلى فلورنسا الإيطالية ، وتسأله عن وجهة سفره مجيباً إياها بأنه يتنقل في أكثر من مكان قائلةً له : " **هل أنت سندبادٌ طائر ؟ فرددتُ السؤالَ بسؤالٍ قائلاً : هل تعرفين أن السندباد هو عمل أدبي عربي ، من صفحات ألف ليلة وليلة ؟ لا. وما هي ألف ليلة وليلة . يسميها الغرب (الليالي العربية) ، وهي أصل الأدب العالمي؛ العربي والغربي عموماً. ولتوطيد علاقتي معها بالحديث الناعم ، قصصت عليها قصة السندباد المشهورة.** "(٧٧) . وبهذا أصبح السندباد وسيلة للتعارف والتقارب بين جمال ومارغريتا ، ولتوطيد علاقتهما قصيرة الأمد .

لقد جاء توظيف حكايات ألف ليلة وليلة في الرواية بأكثر من صورة ، فكان التوظيف إما لإثبات حقيقة أصلها العربي ، أو لوجود حادثة في الرواية مشابهة لإحدى الحكايات ، كما في مركز المجوهرات ومغارة علي بابا ، وحكاية السفر والترحال كما في حكاية السندباد البحري المشهور بكثرة سفره وتنقله ومغامراته في البلدان .

هـ – التناص الأسطوري

تمثل الأسطورة بمختلف أصولها " واحدةً من أعمق منجزات الروح الإنسانية وهو الخلق الملهم لعقول شاعرية خيالية موهوبة سليمة لم يفسدها تيار الفحص العلمي ولا العقلية التحليلية "(٧٨) . والأسطورة على الرغم من أنها تمثل الحياة البدائية للشعوب القديمة ، ومعتقداتهم حول الظواهر الطبيعية ، إلا أنها ما تزال تمثل " طاقة حيوية دائمة التجدد "(٧٩) ، ترفد الأدباء والشعراء بمادة غزيرة تغني الأعمال الأدبية ، حيث نجدهم قد استلهموا " المادة الأسطورية والرموز والشخصيات والمواقف ذات الأبعاد الإنسانية الغنية بالدلالة والمغزى "(٨٠) .

أرتبطت الأسطورة بالخوارق ، والشخصيات الخرافية ، والألهة ، كما يرى خلدون الشمعة " أن الأسطورة قصة متداولة أو خرافية تتعلق بكائن خارق أو حادثة غير عادية ، وتقدم تفسيراً للظاهرة الدينية أو لما فوق الطبيعة كالآلهة والأبطال وهي قصة مخترعة أو ملفقة ، بتصرف "(٨١) والتناص الأسطوري في الرواية ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالآلهة الكنعانية ، لعل ذلك يعود إلى أن أصل الكنعانيين هي أرض فلسطين و أجزاء من سوريا والأردن ولبنان ، وتوظيف الآلهة الكنعانية يرتبط بالقضية الأساس للرواية (قضية فلسطين) ، فيرد اسم الآلهة (**أل**) آلهة الكنعانيين عند رد (**جمال قاسم**) على (**يائيل**) ، التي طلبت منها أن يحدثها عن البابليين والأشوريين ....." **حدثني إذن عن البابليين وعن الأشوريين ، عن إيوان كسرى ، وعن نبوخذ نصر ، وعن الجنائن المعلقة ! " لا أملك الكثير من التفاصيل عن الأشوريين ، والبابليين ، ولا عن نبوخذ نصر . فقط أعرف أن بابل هي باب (أل) وأن (أل) هو إله الكنعانيين . أي أن بابل عند البابليين هي بوابة الكنعانيين . وهي باب الله** "(٨٢) .

يلتقي (جمال قاسم) في منزل السيدة روز بـــ (هنري) ، الذي يقضي وقته في شرب الخمر ، فيدور حديث بينهما عن الديانتين المسيحية والإسلام " **هل أنت مسلم ؟ لسوء حظك ، أنا عربي ومسلم ! ولماذا تقول : لسوء حظي ؟ ذلك لأنكم تعتقدون أن دين المسيح هو للغرب ، وما للشرق سوى الإسلام .. ولكننا نشعر أنكم أنتم الذين نقلتم حضارة الكنعانيين العرب منذ الإله (إل) ، حتى أن اسم بريطانيا (برتن) مأخوذ من الإله (بيرت) أو (بيروت) الفينيقي الكنعاني....** "(٨٣) ويستمر جمال قاسم في سرد حقائق تتعلق بالآلهة القديمة لـ هنري " **وهم الذين قدموا للإغريق حضارة (أخيل) بطل إلياذة هوميروس ، (أخ إل) هو إله الكنعانيين ، إن فينوس وأفروديت ، إلهتيّ العشق والجمال عند الرومان واليونان ،**

منقولتان عن ألهتينا الكنعانيتين ؛ عشتار ، ربة العشق ، البغي المقدسة ، و (السيدة العذراء) عناة ، ربة الطهر والزواج المقدس ....." (٨٤) . يستمر جمال قاسم في الحديث عن (**إل**) إله الكنعانيين ، في محاولة منه في استرداد تاريخنا الحقيقي الذي حرفه اليهود في غفلة من الزمن ، فمحو كل اسم كنعاني أو فلسطيني ، ووضعوا مكانه اسماً إسرائيلياً .." **لقد عاش الكنعانيون في فلسطين منذ عصر الإنسان الأول ، وأما يهود الخزر الأوربيين ، فلقد قام كُتّابهم وفلاسفتهم بقراءة تاريخنا الكنعاني في غفلة من الزمان ، فاستنسخوه ، ثم وضعوا اسمهم مكان اسمنا .. لقد ساروا على خطانا ، ولكن بممحاة ، تزيل كل اسم (كنعاني) ، أو فلسطيني ، فتضع مكانه اسم (إسرائيلي) ..**"(٨٥) . حتى اسم يائيل هو اسم كنعاني ، مؤكداً كلامه بالأدلة .. " **حتى أن اسمك يائيل ، هو اسم كنعاني ، وهو يعني (يا إل) ، إذ كان (إل) هو إله الكون كله عند الكنعانيين ، ونحن عندما نقصد الخروج ، أو الدخول ، نقول (يا الله) ! وكان أجدادنا الكنعانيون يقولون : (يا إل) أو (يائل) أو (يائيل) وذلك حسب لهجاتهم ، بينما إله اليهود هو (يهوة) .**"(٨٦) . فاليهود بما عرفوا به من تحريف للحقائق، حاولوا طمس معالم تاريخنا وآثارنا العربية والكنعانية والإسلامية ، ونسبتها إليهم حتى يتمكنوا من السيطرة على أرض فلسطين واحتلالها واخراج أهلها منها .

بعد الإله (**إل**) إله الكنعانيين ، يحضر (بعل) آلهة – الخصب والنماء والمحبة عند الكنعانيين – كرمز للخير والمحبة والفرح " **أوافقها على أن بلاد كل منا جميلة ، وأنني محتاج لأن تكون بلدي لي ... أسكن فيها . أشعر بالسكون والهدوء والبقاء . أطارد فيها كما كان بعل إله الكنعانيين يطارد في الغابات ، فتنزل الأمطار .. يزهر اللوز، وتثمر الأشجار** .."(٨٧) . تتشابه صور فاعلي الخير ، وقامات العلم والمعرفة من أجل العمل على خدمة الإنسانية ، مع صورة الإله (بعل) إله الخصب والنماء في استمرار الحياة " **تماماً كما كان بعل ، إله الخصب والنماء والمحبة عند الكنعانيين ، يسيطر على الغريب موت ، إله التدمير والقتل والنهب والسلب ، ولولا ذلك ، لفسدت الحياة ، ودمرت الأرض تدميراً** "(٨٨) .

تلتقي الأسطورة الدنماركية مع الأسطورة الكنعانية ، حيث يربط (**جمال قاسم**) بين الأسطورتين للتشابه الكبير بينهما " **مدينة أنشئت من بخار البحر ، حسب الأسطورة الدنماركية التي تقول : إن امرأة قامت بوضع نير سكة حراثة على رقاب أولادها الأربعة ، الذين كانوا بقوة ثيران المصارعة فحولتهم إلى ثيران ، وجعلتهم يجرون المحراث الرباعي السكك ، فيحرثون بخار البحر ، وذلك بدفع أمهم ، وبتوجيهها لهم ، فظهر من هذه الحراثة يابسة على شكل أرض سميت فيما بعد (دنمارك).** "(٨٩) أما الأسطورة الكنعانية التي سبقت الأسطورة الدنماركية بكثير فتنص إلى " **أن الإلهة الكنعانية الأم يم** " **خلقت الأرض على شكل كرة ، سطحها من الماء ، أو كانت هي الماء (اليمّ) أم الحياة ، ثم قامت وكوّنت أولادها على شكل ثيران ضخمة ، وحرثت بهم البحر فأنشأت منه اليابسة التي كانت قطعة واحدة ، ثم تجزأت على شكل قارات ، نبتت فيها النباتات ، وعاشت عليها الحيوانات ، وكان منهم الإنسان ، وما يزال يطلق على البحر اسم " اليم "."(٩٠) .**

لعل هذه المقارنة بين الأسطورتين هو نوع من استرداد الحقوق الكنعانية العربية المسلوبة من قبل الغرب ، كما هي مسلوبة من قبل اليهود .

و- التناص الفني

لعل أغلب الباحثين يتفقون على أن الأغاني الشعبية تكون من ضمن التناص التراثي ، لكن الأغاني الحديثة ، والشخصيات الفنية (التمثيلية) ومشاهد الدراما لم أجدها ضمن التناص التراثي ، ولعل ذلك راجع إلى كون الأدباء لم يوظفوا مقاطع من أغانٍ أو أعمال درامية في نصوصهم الأدبية . لذا ارتأينا أن نضع هذا النوع من التناص تحت مسمى (**التناص الفني**) لما يضمه من توظيف مقاطع أغانٍ وأعمال درامية ، وشخصيات فنية . في هذه الرواية نجد في أكثر من موضع توظيفاً لشخصيات فنية ، أو مقاطع أغانٍ يصرح في بعضها بأسماء مطربيها من دون ذكر اسم الأغنية ، وفي مواضع يكتفي بالغناء من دون ذكر أسماء مطربيها .

يبين (**جمال قاسم**) أسباب ارتداد الصليبيين عن بلاد العرب ، بعد أن سيطروا عليها ، اكتشافهم أن حياتهم في الصحراء العربية ، حياة كلها قتل وموت ، فيوظف للتعبير عن هذه الحال مقطع من أغنية لمطرب يدعى (فهد بلان) ((

ما برجع من ديرتها ، إلا قاتل ، أو مقتول))(٩١) فالفنان في أُغنيته لا يعود من ديرة حبيبته إلا قاتلاً أو مقتولاً من أجل حبيبته ، أما الصليبيون فقد عادوا من بلاد العرب حتى لا يكونوا مقتولين بعدما كانوا قاتلين ! .

أما فيروز فتحضر في ذهن (**جمال قاسم**) عندما يجد نفسه وحيداً مع ذاك الشاب الهولندي الذي يحمله من أمام معرض الزهور ليوصله إلى أقرب محطة للسيارات ، لكن الطريق الذي يسلكه ذاك الشاب ، والظلام السائد ، والحيرة ، والخوف الذي يرتسم على عقل (**جمال قاسم**) مع الخوف من المجهول ليتسرب صوت فيروز إلى ذهنه ...

" **ما في حدا ، لا تندهي ما في حدا ...**

عتم وطريق ، وطير طاير عالهدا !

بابهن مسكر ، والعتم غطى الدراج

شو قولكن ؟ شو قولكن ... صاروا صدى !

مع مين بدك ترجعي بعتم الطريق ...

لا شاعلة نارُن ، ولا عندك رفيق

وماااااااآ في حدا ! "(٩٢)

بعد أن اوصله ذاك الشاب إلى إحدى الأماكن التي قد يجد فيها سيارة تقله إلى مبتغاه ، راح يركض في عتمة الليل البهيم ، فيخيل إليه أن الدراويش السودانيين يتقافزون حوله ويغنون ، وغني معهم :

" **ليه يا قمر صاحي ،**

يا طالع الشجرة ..

جيب لي معاك بقرة

تحلب وتسقيني

بالمعلقة الصيني

وجيب لي معاك تذكار ...

أهديه للقمرة ،

(.....)

غطيني بالغنوات ،

شان أصحى يوم بكره ...."(٩٣)

فالغناء كان وسيلةً لطرد الخوف من نفسه المضطربة ، لأن المرتعب يسلي نفسه بالغناء ، ومع تضارب أفكاره ومشاعره يجد نفسه يغني مع فاضل عواد:

" **وأمرُّ ما لاقيت من ألم الهوى ،**

قرب الحبيب ، وما إليه وصول

كالعيس في البيداء ، يقتلها الظمأ،

والماء فوق ظهورها محمول

لا خبر لا ، جفية لا ، حامض حلو ، لا شربات ...! "(٩٤)

عند تجوال (جمال قاسم) في قصر ملك السويد يستذكر أغنية أم كلثوم (أقولك إيه عن الشوق) ، ويأخذ بالغناء بصوتٍ عالٍ ، مما يضطر رجال الأمن لإخراجه حفاظاً على الهدوء السكون ..

" **ما أقولش منايا كان حبك دا أكثر من اللي بتمناه ،**

ومن الفرحة وأنا جنبك بعيش في كل لحظة حياة " (٩٥)

لعل من أكثر التناصات الفنية التي وظفها الكاتب في روايته ، والتي تصب في المحور الرئيس للرواية – قضية فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي – حديث (**جمال قاسم ويائيل**) عن فيلم (**ميونخ ٨٠**) للمخرج الأمريكي ستيفن سبيلبرج "

هل شاهدت فيلم (ميونخ ٨٠) للمخرج الأمريكي اليهودي (سبيلبيرج) والذي عرض فكرة جديدة على الإسرائيليين ، فبعد أن اغتال رئيس عصابة القتلة الإسرائيلية ، عدداً من القادة والمفكرين والمثقفين الفلسطينيين ؛ غسان كنفاني وزملائه الآخرين ، وأنجز مهمة القتل ، رفض أن يعود إلى فلسطين ، وقرر أن يبقى مع زوجته وطفلته في بروكلين .. "(٩٦) في تناصه مع هذا الفيلم ، يلخص الكاتب فكرة الصراع المستمر بين الفلسطينيين واليهود .

وظف الكاتب التناص الفني في روايته باتجاهات مختلفة منها : فكرة التمسك بالأرض ، كما في أغنية فهد بلان . وحالة الخوف والوحدة التي شعر بها كما في أغاني فيروز ، والدراويش السودانيين ، وفاضل عواد . وتجسيد فكرة الصراع المستمر إلى ما لا نهاية بين الفلسطينيين واليهود ، من خلال توظيفه لفيلم (**ميونخ** ٨٠) للمخرج الأمريكي اليهودي ستيفن سبيلبيرج . فالكاتب قد تنوع في استخدام التناص وأنواعه وأهدافه في الرواية .

الخاتمة

مما تقدم في قراءتنا للتناص في رواية (صديقتي اليهودية) للكاتب صبحي فحماوي ، نجد أن التناص شكل حضوراً واسعاً في خارطة الرواية ، ولعب دوراً مهماً في طرح العديد من الأفكار من قبل الكاتب .

من أكثر أنواع التناص حضوراً وتأثيراً في الرواية (التناص التاريخي) سواء بتناصه مع الأحداث التاريخية أم بتناصه مع الشخصيات التاريخية ، حيث قدم من خلال التناص التاريخي العديد من الحقائق التاريخية ، التي تتعلق بحقيقة اليهود وهجراتهم والعذابات التي تعرضوا لها – كما يدعون – مبيناً زيف أقوالهم مؤيداً كلامه بأدلة تاريخية . أما التناص الديني فقد شكل التناص القرآني حضوراً أوسع من المصادر الأخرى التي لا تكاد تذكر . النوع الثالث (التناص الأدبي) الذي جاء أما تعليقاً على حدثٍ معين ، أو للسخرية من حادثة تقع للشخصية الرئيسة في الرواية أو للمقارنة بين حال وحال آخر. وفي التناص التراثي والأسطوري يسعى الكاتب إلى استرداد الحقوق الضائعة ، من خلال بيان حقيقة الأعمال الأدبية العربية التراثية ، وكذلك بيان حقيقة الأساطير العربية والكنعانية والبابلية . أما التناص الفني فهو التناص الذي ركز على الأعمال الفنية الحديثة من غناء ودراما ، اقتبس منها الكاتب مقاطعاً أو جملاً من هذه الأعمال ، من أجل بيان حالة يمر بها الشخصية الرئيسة في الرواية ، أو لبيان فكرة الرواية الرئيسة .

الهوامش

---

(١) صديقتي اليهودية ، صبحي فحماوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان ، ٢٠١٥ .

(٢) علم النص ، جوليا كريستيفا ، ترجمة فريد الزاهي ، مراجعة عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩١ / ٢١ .

(٣) المصدر نفسه / ٢١ .

(٤) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٣ ، ١٩٩٢ ، ١٢١ .

(٥) مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد ضمن كتاب (أصل الخطاب النقدي الجديد) ، ترجمة وتقديم أحمد المديني ، عيون المقامات ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٩ ، ١٠٣ .

(٦) الدرجة صفر للكتابة ، رولان بارت ، ترجمة محمد برادة ، الرباط ، الترجمة المغربية للناشرين المتحدين ، ط٣ ، ١٩٨٥ ، ١٠٢ .

(٧) ينظر : التناص في شعر أبي العلاء المعري ، إبراهيم الدهون ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، أربد ، ٢٠١١ ، ١٤ .

(٨) اسلاميات أحمد شوقي – دراسة نصية تناصية – ، عبد الرحمن بغداد ، أطروحة دكتوراه ، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية ، قسم اللغة والأدب العربي ، الجزائر ، ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ ، ١٠١ – ١٠٢ .

(٩) التناص في شعر علي بن الجهم ، عواد صياح حسن المساعيد ، إشراف أ. د. عبد القادر الرباعي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة آل البيت ، الأردن ، ٢٠١٢ ، ٩٤ .

(١٠) التناص نظرياً وتطبيقياً ، أحمد الزعبي ، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط٢ ، ٢٠٠٠ ، ٢٩ .

(١١) عتبات الكتابة في الرواية العربية ، د. عبد المالك أشهبون ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط١ ، سوريا ، ٢٠٠٩ / ٤٧- ٤٨ .

(١٢) في نظرية العنوان .. مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ، د. خالد حسين حسين ، التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٧ / ٦ .

(١٣) شعرية الحجب في خطاب الجسد ، محمد صابر عبيد ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢٠٠٧ /١٥ .

* ألبرت آينشتاين : (١٨٧٩ – ١٩٥٥) عالم ألماني الجنسية ، يهودي الديانة . تخصص بمجال الفيزياء اشتهر بـ (النظرية النسبية العامة ، والنظرية النسبية الخاصة) ، حصل على جائزة نوبل في الفيزياء عام (١٩٢١) ، يعد من بين أهم (١٠٠) رجل في تاريخ البشرية في القرن العشرين .

(١٤) صديقتي اليهودية / ٣ .

(١٥) ينظر : موسوعة ويكيبيديا ar.m.wikipedia.org .

* مالكوم إكس : ويعرف بالحاج مالك الشباز (١٩٢٥ – ١٩٦٥ م)، داعية اسلامي ، ومدافع عن حقوق الإنسان أمريكي من أصل أفريقي، صحح مسيرة الحركة الإسلامية التي انحرفت بشدة عن العقيدة الإسلامية في أمريكا ودعا للعقيدة الصحيحة .

(١٦) صديقتي اليهودية / ٣ .

* نيلسون مانديلا : (١٩١٨ – ٢٠١٣) سياسي مناهض لنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا ، وثوري شغل منصب رئيس جنوب أفريقيا (١٩٩٤– ١٩٩٩ م) ، وشغل منصب الأمين العام لحركة عدم الانحياز (١٩٩٨ – ١٩٩٩ م) .

(١٧) صديقتي اليهودية / ٣ .

* المهاتما غاندي : (١٨٦٩ – ١٩٤٨) السياسي البارز ، والزعيم الروحي للهند من خلال حركة استقلال الهند ، كان رائداً للسايتا غراها وهي مقاومة الاستبداد من خلال العصيان المدني الشامل .

(١٨) صديقتي اليهودية / ٣ .

(١٩) المصدر نفسه / ٦ .

(٢٠) المصدر نفسه / ٢٢ .

(٢١) المصدر نفسه / ٢٢ .

(٢٢) المصدر نفسه / ٢٢ .

(٢٣) المصدر نفسه / ٦٤ – ٦٥ .

(٢٤) المصدر نفسه / ٩٩ .

(٢٥) المصدر نفسه / ١٠٠ .

(٢٦) المصدر نفسه / ١٠٠ .

(٢٧) المصدر نفسه / ١٢٦– ١٢٧ .

(٢٨) المصدر نفسه / ١٢٧ .

(٢٩) التناص الديني والتاريخي في شعر محمود درويش ، ابتسام موسى عبد الكريم أبو شرار ، رسالة ماجستير ، قسم اللغة العربية ، عمادة الدراسات العليا ، جامعة الخليل ، فلسطين ، ٢٠٠٧ / ١٨٣ .

(٣٠) صديقتي اليهودية / ٣٠ .

(٣١) المصدر نفسه / ٣١ .

(٣٢) المصدر نفسه / ٥٠ – ٥١ .

(٣٣) ينظر : المصدر نفسه / ٥٤ .

(٣٤) المصدر نفسه / ٥٥ – ٥٦ .

(٣٥) المصدر نفسه / ٦٣ .

(٣٦) المصدر نفسه / ٢١٧ .

(٣٧) عناصر العمل الفني .. دراسة جمالية ، رمضان الصباغ ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، (د . ط)، الإسكندرية ، (د. ت) ، ٧ .

(٣٨) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، د. علي عشري زايد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ١٢٠ .

(٣٩) دراسة الأدب العربي ، د. مصطفى ناصف ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د. ت) ، ٢٠٥ –٢٠٦ .

(٤٠) صديقتي اليهودية / ٣٣ .

(٤١) المصدر نفسه / ١٩٢ .

(٤٢) المصدر نفسه / ٢١٢ – ٢١٣ .

(٤٣) المصدر نفسه / ٢١٣ .

(٤٤) المصدر نفسه / ٦ .

(٤٥) المصدر نفسه / ٦ .

(٤٦) ينظر : مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، (د. ت) ، ٢٨٦/١ ، برقم ١٥٢١ .

(٤٧) صديقتي اليهودية / ٨ .

(٤٩) المصدر نفسه / ٦٥ .

(٥٠) المصدر نفسه /٢٢١ .

(٥١) المصدر نفسه / ٢٢١ .

(٥٢) المصدر نفسه / ١٤ .

(٥٣) سورة البقرة ، آية ٣٠ .

(٥٤) سورة الروم ، آية ٢١ .

(٥٥) ينظر : صديقتي اليهودية / ١٠١ .

(٥٦) سورة الحشر ، آية ٢٣ .

(٥٧) سورة المؤمنون ، آية ١٤ .

(٥٨) صديقتي اليهودية / ١٧٨ .

(٥٩) المصدر نفسه / ٢٢١ .

(٦٠) سورة الحجر ، آية ٤٦ .

(٦١) البنية السردية في الرواية السعودية (دراسة فنية لنماذج من الرواية السعودية) ، نورة بنت محمد بن ناصر المرّي ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا ، فرع الأدب ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٨ ، ٢٢٦ .

(٦٢) اشتغال المتعلق به في النص السردي الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء للطاهر وطار " نموذجاً " ، قسول فاطمة ، رسالة ماجستير ، جامعة حسيبة بن بو علي – الشلف – كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها ، ٢٠٠٨ –

٢٠٠٩ ، ٢٧ .

(٦٣) صديقتي اليهودية / ٤٢ .

(٦٤) المصدر نفسه / ٥٣ .

(٦٥) المصدر نفسه / ٧٢ .

(٦٦) المصدر نفسه / ١٩٢ .

(٦٧) المصدر نفسه / ١١– ١٢ .

(٦٨) المصدر نفسه / ١٢ .

(٦٩) المصدر نفسه / ١٣ .

(٧٠) المصدر نفسه / ٦٠ .

(٧١) المصدر نفسه / ١١٠ .

(٧٢) المصدر نفسه / ٢٠٠ .

(٧٣) الملحمة الشعبية الفلسطينية ، عمر نمر ، منشورات الجمعية العلمية الفلسطينية ، الدار الوطنية ، نابلس ، ٢٠٠٠ /٥ .

(٧٤) صديقتي اليهودية / ٣٢ .

(٧٥) المصدر نفسه / ١٥٣ .

(٧٦) المصدر نفسه / ٣٨ .

(٧٧) المصدر نفسه / ١٨٥ – ١٨٦ .

(٧٨) الأسطورة في شعر السياب ، عبد الرضا علي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤ /١٣ .

(٧٩) التناص في شعر (إلياس أبو شبكة) – غلواء أنموذجاً – ، يوسف العايب ، رسالة ماجستير ، إشراف أ.د. محمد زغينة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة – ، الجزائر ، ٢٠٠٦ –٢٠٠٧ / ٨٨ .

(٨٠) الشعر العربي المعاصر ، عز الدين اسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٨ ، ٣٩ .

(٨١) التناص في الشعر العربي الحديث – البرغوثي نموذجاً – ، حصة البادي ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٨ /٨٧ .

(٨٢) صديقتي اليهودية / ٢٢ .

(٨٣) المصدر نفسه / ٥٨ .

(٨٤) المصدر نفسه / ٥٩ .

(٨٥) المصدر نفسه / ٦٩ .

(٨٦) المصدر نفسه / ٦٩.

(٨٧) المصدر نفسه / ١٠٠ .

(٨٨) المصدر نفسه / ١٧٥ .

(٨٩) المصدر نفسه / ١٩٥ .

(٩٠) المصدر نفسه / ١٩٥ .

(٩١) المصدر نفسه / ٦٨ .

(٩٢) المصدر نفسه / ١٣٣–١٣٤ .

(٩٣) المصدر نفسه / ١٣٨ – ١٣٩ .

(٩٤) المصدر نفسه / ١٤١ .

(٩٥) المصدر نفسه / ٢١٠ .

(٩٦) المصدر نفسه / ٢٢٤ .

المصادر

- **القرآن الكريم**
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، د. علي عشري زايد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٧ .
- الأسطورة في شعر السياب ، عبد الرضا علي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٣ ، ١٩٩٢ .
- التناص في شعر أبي العلاء المعري ، إبراهيم الدهون ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، أربد ، ٢٠١١ .
- التناص في الشعر العربي الحديث – البرغوثي نموذجاً – ، حصة البادي ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٨ .
- التناص نظرياً وتطبيقياً ، أحمد الزعبي ، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط٢ ، ٢٠٠٠ .
- دراسة الأدب العربي ، د. مصطفى ناصف ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د. ت) .
- الدرجة صفر للكتابة ، رولان بارت ، ترجمة محمد برادة ، الرباط ، الترجمة المغربية للناشرين المتحدين ، ط٣ ، ١٩٨٥ .
- الشعر العربي المعاصر ، عز الدين اسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٨ .
- شعرية الحجب في خطاب الجسد ، محمد صابر عبيد ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢٠٠٧ .
- صديقتي اليهودية ، صبحي فحماوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١ ، لبنان ، ٢٠١٥ .
- عتبات الكتابة في الرواية العربية ، د. عبد المالك أشهبون ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط١ ، سوريا ، ٢٠٠٩ .
- علم النص ، جوليا كريستيفا ، ترجمة فريد الزاهي ، مراجعة عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩١ .
- عناصر العمل الفني .. دراسة جمالية ، رمضان الصباغ ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، (د . ط)، الإسكندرية ، (د. ت) .
- في نظرية العنوان .. مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ، د. خالد حسين حسين ، التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٧ .
- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، (د. ت) .
- مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد ضمن كتاب (أصل الخطاب النقدي الجديد) ، ترجمة وتقديم أحمد المديني ، عيون المقامات ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٩ .
- الملحمة الشعبية الفلسطينية ، عمر نمر ، منشورات الجمعية العلمية الفلسطينية ، الدار الوطنية ، نابلس ، ٢٠٠٠ .

الرسائل والأطاريح الجامعية

- اسلاميات أحمد شوقي – دراسة نصية تناصية – ، عبد الرحمن بغداد ، أطروحة دكتوراه ، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية ، قسم اللغة والأدب العربي ، الجزائر ، ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ .
- اشتغال المتعلق به في النص السردي الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء للطاهر وطار " نموذجاً " ، قسول فاطمة ،

رسالة ماجستير ، جامعة حسيبة بن بو علي – الشلف – كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها ، ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩.

- البنية السردية في الرواية السعودية (دراسة فنية لنماذج من الرواية السعودية) ، نورة بنت محمد بن ناصر المرّي ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا ، فرع الأدب ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٨ .
- التناص الديني والتاريخي في شعر محمود درويش ، ابتسام موسى عبد الكريم أبو شرار ، رسالة ماجستير ، قسم اللغة العربية ، عمادة الدراسات العليا ، جامعة الخليل ، فلسطين ، ٢٠٠٧ .
- التناص في شعر (إلياس أبو شبكة) – غلواء أنموذجاً – ، يوسف العايب ، رسالة ماجستير ، إشراف أ. د. محمد زغينة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة – ، الجزائر ، ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ .
- التناص في شعر علي بن الجهم ، عواد صياح حسن المساعيد ، إشراف أ. د. عبد القادر الرباعي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة آل البيت ، الأردن ، ٢٠١٢ .

- **شبكة المعلومات الدولية (الإنترنيت)**
- موسوعة ويكيبيديا ar.m.wikipedia.org .